

تصنيف الباحثين في أقسام الجغرافية في الجامعات العربية

أ.د. فؤاد محمد الشريف بن غضبان

أ.د. محمد صالح ربيع

mohalageli@uomustansiriyah.edu.iq

معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة أم البواقي

الجامعة المستنصرية، كلية التربية

مستخلص البحث:

يحتاج البحث العلمي باحثاً بارعاً ملماً صبوراً قادراً على إدارة دفعة البحث من جميع جوانبه وبما يتلاءم مع المشكلة والقارئ ، ولديه القدرة على مداعبة أفكار القراء وجذبهم لبحثه ودفعهم على الإبقاء في قراءة ما كتبه لابل لديه القدرة على اقناع القارئ بطرحه العلمي وهذا يتأتى حينما يكون أسلوبه في الكتابة شفافاً وعلمياً وذو جدوى ومعنى. ويفترض على الباحث الناجح ان يكون عالماً في مجال علمه وعارفاً في تخصصه، ليس هذا فحسب وإنما لابد أن يمتلك القدرة على البحث والتبحر فيه، وأهم من كل ما ذكرت أن يضيف جديداً في مجال علمه، وينطبق هذا الوصف على كل علوم الحياة، ولغرض صناعة باحثاً ناجحاً ان نضمن له ثلاث أمور مهمة هي:

1- حرية الرأي

2- الطمأنينة النفسية

3- ضمان حقوقه

وفي حال عدم توفر هذه المرتكزات الثلاثة وانها غير متحققة وترتب عليها عدم توافر المؤهلات والخصائص التي يجب أن يتحلى بها الأستاذ الجامعي، فكيف إذا أضفنا أمور أخرى لن تقل أهمية عن سابقتها وهي أيضاً غير متحققة يمكننا أن نذكر بعضاً منها وكالاتي: . حياة اجتماعية كريمة متمثلة بدار سكنية تأويه وملبس يكسبه وقانون يحميه، وجامعة بالمؤهلات تبنيه، فالحياة الكريمة ضرورية لكل انسان لطالما خلقه الله ليكرمه لا ليهينه.

الكلمات المفتاحية: بحث ، شخصية الباحث، مؤشرات النجاح، تصنيف الباحثين

prof. Dr. Muhammad Saleh Rabie

prof. Dr. Fouad bin Ghadba

Al-Mustansiriya University

Um Al-Bouaghi University

Summary of the research:

Scientific research requires a skilled, knowledgeable and patient researcher who is able to manage the research in all its aspects in a way that suits the problem and the reader. He has the ability to stimulate the thoughts of readers and attract them to his research and push them to continue reading what he has written. He has the ability to convince the reader with his scientific proposal, and this comes when his style is in... Writing is transparent, scientific, meaningful and meaningful.

The successful researcher is supposed to be a scientist in his field of knowledge and knowledgeable in his specialty. Not only that, but he must also have the ability to research and explore it, and more important than all that I mentioned is to add something new to his field of science. This description applies to all life sciences, and for the purpose of creating a researcher. To be successful, we must ensure three important things:

1-Freedom of opinion

2-Psychological reassurance

3-Guaranteeing his rights

In the event that these three foundations are not available and are not achieved and this results in the lack of qualifications and characteristics that a university professor must possess, then how about if we add other matters that will be no less important than the previous ones and which are also not achieved? We can mention some of them and my agencies: - A decent social life represented by With a residential home to shelter him, clothing to cover him, a law to protect him, and a university with

qualifications to build him. A decent life is necessary for every human being, as God has always created him to honor him, not to humiliate him

Keywords: research, personality of the researcher, indicators of success, classification of researchers

مقدمة:

هناك علاقة قوية بين البحث والباحث إذ يحتاج البحث العلمي باحثاً بارعاً ملماً صبوراً قادراً على إدارة دفة البحث من جميع جوانبه وبما يتلاءم مع المشكلة والقارئ ، ولديه القدرة على مداعبة أفكار القراء وجذبهم لبحثه ودفعهم على الإبقاء في قراءة ما كتبه لابل لديه القدرة على اقناع القارئ بطرحه العلمي وهذا يتأتى حينما يكون أسلوبه في الكتابة شفافاً وعلمياً وذا جدوى ومعنى.

ويقترض على الباحث الناجح ان يكون عالماً في مجال علمه وعارفاً في تخصصه، ليس هذا فحسب وإنما لابد أن يمتلك القدرة على البحث والتبحر فيه، وأهم من كل ما ذكرت أن يضيف جديداً في مجال علمه، وينطبق هذا الوصف على كل علوم الحياة ، فإضافة الجديد لا يقدر عليها في الغالب إلا من تبحر في مجاله ووصل إلى درجة العلماء، وكلمة عالم تطلق على كل من وهب نفسه للعلم، وتعمق في المعرفة العلمية في مجال معين، أي أن معرفته في اختصاصه تفوق العادة، فهو الخبير بالأشياء من حيث طبيعتها، تصنيفاتها وعملها، وهو الشخص المتمكن من مجال بحثه أو تخصصه، ولا يوجد حسب التعريف الحديث فارق بين العالم والمهندس والتقني الخبير، لكن الواضح أن العالم يشغل نفسه بتفسير الظواهر بينما العامل الفني أو التقني يهتم في مجال التطبيق، وكلاهما يسعى لحل المشاكل ذاتها، وينسب الباحثون أيضاً إلى مجموعة العلماء (التجريبيين وغيرهم).

ويختلف النجاح في البحث العلمي عن باقي مجالات الحياة، لأنه لا يعتمد فقط على امتلاك مهارات القيام بتلك المهمة بالأساس، بل يتعدى إلى أكثر من ذلك؛ من قبيل طبيعة الموقف وحقيقة الاتجاه نحو تلك المسؤولية، كما أنه رهين بمدى استمرار نتائج البحث؛ فلا يوجد خلاف على أن البحث العلمي هو أحد الأعمال التي تستلزم السعي الدائم نحو تطوير الذات والتطلع غير المنقطع نحو آفاق أوسع.

ولابد من الاقرار بأن ممارسة البحث العلمي ليست بالأمر البسيط، كما يعتقد البعض؛ والحق أن هذا التصور خاطئ وبعيد تماماً عن الحقيقة، فليس كل من أسندت إليه مهمة البحث العلمي هو مؤهل لها ويستحق صفة الباحث حقاً، وليس كل من يحمل بطاقة باحث أو طالب في الدراسات العليا يستطيع أن يكون باحثاً ناجحاً فعلاً.

مشكلة البحث: يطرح البحث مشكلة رئيسة واحدة هي: كيف يمكننا صناعة باحثاً ناجحاً؟ وذلك بعد تدني مستوى البحوث التي تنتجها المؤسسات العلمية ، وبالإمكان ان تتضمن هذه المشكلة اسئلة فرعية أخرى هي:

1- ما مؤشرات شخصية الباحث الناجح؟

2- كيف اذا كان الباحث استاذاً جامعياً ؟

3- ما سبل تصنيف الباحثين؟

فرضية البحث: ويضع البحث افتراضاً مفاده : اذا اردنا ان يكون في مؤسساتنا العلمية باحثين أكفاء علينا ان نضع معايير تكفل نجاحهم في خدمة العلم والمعرفة ،ومن هذه المعايير :

1- ان نضع مؤشرات لشخصية الباحث العلمي الناجح.

2- لا ينبغي الفصل بين مهمة الباحث والاستاذ الجامعي.

3- لابد من وجود تصنيف للباحثين تهيأ لنا ارضية لغرض معالجة الخلل في مساره العلمي.

هدف البحث: يهدف البحث الى : رفع مستوى البحوث العلمية التي يكتبها الباحثون في الجامعات من حيث النوع والكم .

1- معرفة المؤشرات التي يتسم بها الباحث العلمي .

2- الكشف عن الملايسات بين الباحث والاستاذ الجامعي.

3- التوصل الى تصنيف يمكننا ان نميز بين باحث وآخر من حيث الكفاءة والنتاج العلمي .

أولاً- شخصية الباحث الناجح ومؤثراتها

ندرج طياً أهم ما يتعلق بشخصية الباحث الناجح:

1- ان يكون ذا نفسية رصينة من حيث بعدها عن التطرف والاهواء والتجاوزات العقائدية والسياسية والقبلية وان لا تكون لديه ميول على حساب المبدأ العلمي الذي يكتب في مضمونه ،وأن لا يترك ضميره ساحة تنتازعه الافكار والاتجاهات ومن ثم يفقد استقامته في الكتابة ، وهذه لا تأتي الا من خلال كثرة قراءته واطلاعه على سير العلماء والكتاب ومحاولة انتزاع منهما ما يفيد طريقته وتوجهه في الكتابة وأن يجند نفسه بما هو مفيد من أفكار وعبر وآليات في عملية التأليف والكتابة. رصد علماء علم النفس وباحثون ، عددًا من العوامل التي تمثل أساساً قوياً ، لوصول الإنسان إلى حالة التوازن النفسي ، والتي يمكن إجمالها بما يأتي: الصحة الجسمانية : وتعني حفاظ الإنسان على صحة بدنية معافاة، والاستقرار المهني : ويعني أن يحصل الإنسان على وظيفة ثابتة ولا يخش أن ينتقل منها إلى مكان آخر أو يتركها رغماً عنه في أي وقت ، والاستقرار الأسري ويعني : قدرة المرء على تكوين أسرة ، تقوم على الهدوء والتفاهم، وتجنب الضغوط : سواء أكانت نفسية أم اجتماعية ، فالنزاعات والمعارك مع المحيطين بك، قد تجعل الباحث مخلخل الاتزان، مهارات حل المشاكل : يجب أن يتمتع الباحث بقدرة جيدة على طرح حلول، لأية مشكلة تواجهه ، فالأمر قد يبدو في البداية عسيراً ، ولكن مع الوقت ستسهل على الباحث مهمة حل مشاكله، التخلص من الطاقة السلبية : من المهم للأشخاص ، أن يقوموا بالتخلص من الطاقة السلبية أولاً بأول ، خاصة تلك المشاعر المحملة بالغضب والحزن والغيرة ، ويمكن الوصول لذلك ، من خلال جلسات مستمرة مع من نحبهم ، أو الخروج والانطلاق في أماكن مفتوحة ، تساعد على تصفية الذهن، الاستقرار الروحي : لا ينعم الإنسان بحياته ، سوى بوجود طاقات روحية تجعله يدرك الهدف من وجوده ، ومع اختلاف الديانات ، برزت أيضاً معتقدات غير سماوية ، هدفها الوصول لحكمة خلق الإنسان ، وكلما ارتفع الجانب الروحي للإنسان ، كلما وجد المزيد من الاستقرار النفسي.

2- الصبر والاثانة وعدم التسرع في الكتابة والاستعجال على حساب رصانة البحث ، وان يتدرج رويدا رويدا من السهل الى الصعب ومن البسيط الى المعقد ومن الظاهر الى الضمني ومن المتق على الى المختلف فيه ومن العام الى الخاص ومن الواضح الى الغامض ومن القديم الى الجديد، وبين هذا وذاك عليه ان يكون متسلحاً بإمكانات التحليل والتركيب والمقارنة وكيفية اختيار التقنيات المناسبة للبحث وطريقة الخروج بنتائج مرضية، وهذه تأتي من خلال ما اطلع عليه في البحوث السابقة المشابهة لبحثه من حيث الفكرة والهدف مع ضرورة تجنب التكرار عما كتبه الاخرين لان أهم شيء في البحث هو عدم التكرار الذي يذهب بالقارئ الى الملل والسام ومن ثم ترك الكتاب أو البحث الذي بيده.

3- الامانة فيما يطرحه من أفكار بحيث تلامس الواقع وبعيده عن التطرف وان تكون آراءه من بنات افكاره وان يكون موضوعيا فيما يطرحه من افكار وآراء، وان استعان بأفكار الاخرين واستند الى طروحاتهم أو ان يستشهد بما يفيد افكاره العلمية يجب أن يكون اقتباسه محدوداً وان يحافظ على ملكية الاخرين الفكرية من خلال الإشارة إليها كمصدر أو مرجع، إذ أن أكثر ما يؤدي شخصية الباحث هي سرقة أفكار الآخرين.

4- هناك علاقة بين تنظيم خطوات البحث وتتابع العناوين أو الفصول كدلالة على شخصية الباحث المنظمة، فالباحث مثله مثل الخياط حينما يخطط الملابس فكلاهما يتسمان بالدقة في الاخراج والعكس صحيح، بمعنى آخر فان الباحث عليه ان ينظم البحث بشكل يرضي فيه القارئ بما نسجه من افكار عالية الدقة والعلمية والدلالة المعرفية والتسلسل المنطقي كالبدلة التي ترضي الزبون من حيث القياسات والجوانب الاخرى المكملة لها.

5- ضرورة أن يتميز بالأبداع والابتكار والذكاء والفطنة والبدئية والافكار الجديدة ،وعلى أساس هذه الاعتبارات يتم تصنيف الباحثين من حيث النجاح والفشل ،فليس كل ما يكتبه الباحثين يكون مقبولا وليس كل اساتذة الجامعات والباحثين متساوون في طرح الافكار والرؤى وصيغ الابداع فكثير منهم لا بل أكثر الباحثين لا يجيدون الابداع creativity ، إذ أن ذلك يعتمد على مدى اطلاع الباحث وقراءته والمامه بعلمه فضلا عن ذكاءه وخبرته وفطنته، هذا اذا عرفنا بان الابداع هو النظر الى المؤلف بطريقة غير مألوفا (ربيع ، 2015: 211) .

6- ان يكون نشط الذهن في التحليل والنقد وعدم التسليم بما جاء به الاخرين إنما ضرورة أن يدخل الباحث كل فكرة تطرأ في ذهنه الى التحليل المنطقي واخضاعها الى كل التفسيرات العلمية الممكنة لغرض اقرارها وتدوينها، وان يميل دائما الى فحص الادلة وعدم

اقرار النتيجة دون برهان علمي مقبول، ويعتمد الاجتهاد في التحليل اي ان تكون له بصمة علمية واضحة ومنهج علمي واضح وبصمة علمية واضحة تميزه عن الآخرين.

7- ضرورة ان يكون على دراية بانه ليس كل ما يقرأه صحيح ولا يصدق كل ما يسمعه وعليه اختيار البحوث والكتب عالية المستوى وأن يبتعد عن المتدني منها ، احيانا يعتمد الباحث على مصدر ليس بذى قيمة علمية مما يجعل بحثه بنفس المستوى ومن ثم يدرج بحثه ضمن البحوث الهابطة علميا ، أو بمجرد أن يستعين ببحث أو كتاب هابط تهبط قيمة بحثه بنظر المقيمين ، فالحذر هنا واجب في عملية اختيار المصادر التي ينبغي أن يكون اختيارها بدقة ، وعلى الباحث أن يصل بمستوى عال من التمييز بين الغث والسمين من الكتب والبحوث وهذه تأتي من كثرة الاطلاع والقراءة والمداومة على مراجعة دور الكتب والمكتبات.

8- ان يتميز الباحث الناجح بأخلاق العلماء وهذه مهمة جدا ليس في كتابة البحث إنما نحن أمة نتبع نبياً عظيماً ذا أخلاق عالية مدحه ربه بالقرآن قائلاً في سورة القلم الآية 4 : ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تتدرج الأخلاق والقيم ضمن المكونات الحياتية لأي مجتمع ، وتتداخل هذه المكونات إلى درجة لا يمكن الفصل بينها دون إلحاق ضرر بكل منها، وتكون بعد ذلك مجمل أساليب حياته التي تشمل المكونات الاتية: القيم والرموز والأخلاق والمهارات التي يستعملها الإنسان في تعامله مع بيئته ، أو بعبارة أخرى تمثل آداب الناس في أحولهم في المعاش وأمور الدنيا ومعاملاتهم وتصرفاتهم في الحياة اليومية ، والإبداعات التعبيرية الفنية من آداب وموسيقى ورسم ورقص ، والفكر من علوم وفلسفة ومذاهب وعقائد ونظريات، وغالبا ما توصف اخلاق الباحث مقرونة بما يكتب كالعلاقة بين الماء والائناء ، فأخلاق الباحث هي الماء والعلم الذي يمتلكه هو الاثناء بمعنى يجب ان يقترن الماء النظيف مع إناء نظيف، وإخلاقية البحث تكمن بالمسؤولية والالتزام والصدق والمحافظة على هوية الظاهرة قيد البحث وعدم الكشف عن خصوصيتها والابتعاد عن التزييف والمخادعة والكذب .

وللأخلاق قيم لها مكانة كبيرة عند الباحث الناجح؛ لاعتبارها رمزاً للاستقامة ودلالة على الصلاح ومثالاً للالتزام، ويعتمد الباحث الناجح على موجبات قوية تتمثل في ضميره وقيمه وتوجهاته الأخلاقية والدينية التي ترفع جودة أدائه البحثي المتقن، فضلا من ذلك، يستطيع الباحث الناجح أن يؤدي دوراً فاعلاً في التوسط الجيد بين المادة العلمية المتوفرة والموثوقة وما يبحث فيه من جهة، وبين محيطه الخارجي المليء بالتحديات والتناقضات القيمية من جهة أخرى.

9- ضرورة أن يتقن الباحث أكثر من لغة لكي تمكّنه من الاطلاع على ما يكتبه الآخرين، فاللغة سلاح لا يمكن التنازل عنه بالنسبة للباحث الى درجة أكاد أن أجزم بان الباحث بدون لغة اضافية لا يمكن أن تكتمل شخصيته العلمية، فاللغة تساعد على تجديد الافكار واعطاء روح جديدة للبحث وتضيف إليه نكهة جديدة بل وتقنيات حديثة وأطر واضحة، ومهما امتلك الباحث من امكانات فإنها تبقى بعيدة عن التجديد دون امتلاكه للغة تمكنه من اختراق آفاق البحث العلمي بجدارة.

9- الثورة الكمية ضرورة ان لا تغيب عن فكر الباحث في التحليل الكمي والاساليب الرياضية وضرورة أن تكون خير سند للباحث في كتابة بحثه بل هي مكملة لشخصية الباحث العلمية، فالكم دخل في مجالات البحث العلمي دون استئذان من منتصف القرن العشرين ومن يتجاهل لغة الكم كأنما تجاهل العلم برمته اليوم، وبالنظر لكثرة الاساليب الرياضية التحليلية فان الباحث من الضرورة بمكان اختيار الانسب منها وبما ينسجم مع طبيعة بحثه ومنهجه المتبع في التحليل، ولا ضير في أن يتبع الباحث أكثر من طريقة رياضية لمعالجة الظاهرة قيد البحث.

10- ان تتوفر للباحث ادوات للبحث تعينه في التحليل والعرض واذا كان للباحث شخصية متميزة ضرورة أن يحسن استخدام الاداة التي يركز عليها وهي الخريطة (حمود، 2002، 141) ، وهنا أود الإشارة الى أن الخريطة أصبحت ملازمة للبحوث الجغرافية وعنوانها الرئيس ومن ثم على الباحث ان يدخل مضممار رسم الخرائط وإجادتها في بداية حياته العلمية لكي يحرص على الوقت الذي يضيعه وهو يركض لاهاثا وراء من يجيد رسم الخرائط ويتخلص من مشكلة قد تفرقه كثيراً بالانكسار على غيره في هذا المجال ، وينطبق الحال نفسه على إجادة الطباعة لكي يختصر الباحث وقتاً طويلاً دون الاعتماد على المكاتب التي تسرق منه المال والوقت ، ثم أن تعلم الطباعة تفيد الباحث كثيراً من حيث تقديم وتأخير الجمل وحذف جملة وإضافة جملة جديدة أو استبدال فاصلة بنقطة وبالعكس أو تعديل مصدر أو حذف مصدر أو إضافة مصدر وغير ذلك كثير ، ثم أن تعلم رسم الخريطة وتعلم الطباعة وتعلم لغة اضافية سترافق الباحث طوال حياته وليس في كتابة رسالة أو اطروحة أو بحث محدد.

12- ضرورة ان يكون الباحث دؤوباً في البحث والتتقيب والاكتشاف والإبداع والترقي في مدارج العلم والمعرفة وظيفية يومية وممارسة حياتية، كما أنه ينقل نتائج ما توصل إليه إلى غيره عن طريق الكتابة والتأليف أو الصناعة والاختراع، لتعم الفائدة بين سائر أفراد النوع البشري؛ أي انه لم يخلد الى الراحة حتى يرى أبحاثه واقعا ملموسا يستفيد منها الجميع، ويقدم الباحث الناجح إضافة جديدة إلى رصيد المعرفة ويساهم في تقدم العلم ودفعه نحو الأمام، لأنه يقوم ببحوث رائدة وجادة ونافعة.

13- ان لا يكون الباحث متعصباً لفكرة فحسب ، بل يتقبل الباحث الناجح فكر الآخر المخالف له ويحسن تدبيره بشكل جيد، بحيث إنه لا يتعصب لرأيه وأفكاره؛ أي أن يكون أفقه الفكري واسع جداً، ويتبنى الباحث الناجح قيمة التواضع عملياً (ابو سليمان، 1987، 34) ، ولا يجد في نفسه حرجاً في نقد الآخرين له؛ أي أنه لا يتعالى على النقد، وهذا ما يجعل باب تقديم الإفادة ومنح المعرفة عنده مفتوحاً لأي كان، فيصبح حريصاً على تقبل الحكمة من أية جهة جاءت، ولا يمكن أن يفلح في ميدان البحث العلمي إلا من كان متواضعاً لينا بعيداً كل البعد عن الغرور والغطرسة الزائفة والاستعلاء الكاذب.

14- ولعل اهم ما يجب ان يتميز به الباحث الناجح هي البلاغة Rhetoric وتعرف البلاغة كما جاءت في نهج البلاغة للأمام علي بن ابي طالب عليه السلام بانها: "علم كثير في كلام قليل" إذ أن قيمة الوقت داخل الجامعة هو ليس بذات القيمة خارج الجامعة فالثواني محسوبة ولها تأثير واضح على حياة الجامعيين اساتذة وطلبة وموظفين، ولا سيما في المناقشات العلمية لطلبة الماجستير والدكتوراه نسمع كلام كثير في أمور صغيرة لا تليق بمستوى الحدث والمكان ، كذلك حينما يكتب الباحث عليه أن يكون انتقائياً للمعلومة من حيث القيمة والابعاد التي وضعت من أجلها والفائدة المرجوة منها ،ونرى بان خير وسيلة يتبعها الباحث والاستاذ الجامعي على السواء السير وفق القاعدة الآتية :

قل لي وسوف أنسى أرني وقد أتذكر أشركني وسوف افهم

هذه القاعدة تغنيه عن الكلام الكثير بالاعتماد على اشراك الطالب في تسيير عملية التعليم.

ثانياً- بماذا يختلف الاستاذ الجامعي عن الباحث

قد يبدو للوهلة ان هناك اختلاف في التسمية ولكن الأستاذ الجامعي هو ذلك الباحث والمفكر وصانع القرار وصاحب الرأي الحر ، الذي يشقى بقله لينير طريق الآخرين وهو صانع المستقبل، والمعبر عن هموم المجتمع وتطلعات الأجيال، المتقف الملتزم بالموضوعية، وهو الفيلسوف والمؤرخ والأكاديمي واللغوي والاقتصادي ورجل القانون والعالم داخل أروقة الجامعة وحتى خارجها ضمن صفوف المجتمع، فهذه المواصفات الأكاديمية جعلته تواقاً في البحث عن الحقيقة، ويجهد في سبيل إثبات الذات ،مؤمناً برسالة التربية والتعليم، لذلك يتحلى الأستاذ الجامعي " مبدئياً " بالتواضع والعلم والخبرة الحياتية والخلق والبحث والتفكير، فتؤهله هذه الإمكانيات لكي يتبوأ مكانة في المجتمع تكون لائقة به (الشاوي، 49، 1996-61).

ولغرض صناعة استاذاً جامعياً ناجحاً ان يضمن الأستاذ الجامعي ثلاث أمور مهمة هي:

1- حرية الرأي

1- الطمأنينة النفسية

2- ضمان حقوقه

في معظم الدول العربية فان الحرية شبه مفقودة فلا حرية اكااديمية كاملة، ولا اطمئنان حتى على وظيفته فيقضي الاستاذ عمره الجامعي كله خائفاً من هذا وذاك ويتم التلاعب بمصيره بشكل أو بآخر، ولا هو حاصل على كل حقوقه حاله حال اساتذة العالم! ومتى ما توفرت هذه الامور يستطيع الاستاذ أن يتفاعل بحيوية مع محيطه الجامعي محاوراً وباحثاً وتدرسياً بل يتفاعل مع المحيط الخارجي بالمشاركة العلمية في الندوات والمؤتمرات في الجامعات المحلية والعربية والدولية فيحرص على متابعة الجديد من الإصدارات والبحوث والنشرات في مجال تخصصه العام أو الدقيق، فتبتعد النظرة التشاؤمية عن تفكيره حيال دوره في المجتمع، ومكانته في الجامعة ومستقبله في حقل التربية والتعليم والبحث عن الحقيقة العلمية.

وفي حال عدم توفر هذه المرتكزات الثلاثة وانها غير متحققة وترتب عليها عدم توافر المؤهلات والخصائص التي يجب أن يتحلى بها الأستاذ الجامعي، فكيف إذا أضفنا أمور أخرى لن تقل أهمية عن سابقتها وهي أيضا غير متحققة يمكننا أن نذكر بعضاً منها

وكالآتي: حياة اجتماعية كريمة متمثلة بدار سكنية تأويه وملبس يُكسيه وقانون يحميه، وجامعة بالمؤهلات تبنيه، فالحياة الكريمة ضرورية لكل انسان لطالما خلقه الله ليكرمه لا ليهينه قال تعالى في سورة الاسراء: .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الآية (70) فكيف إذا لم يتحقق التكريم لقادة المجتمع فإنها مصيبة! والتكريم هنا هو ليس إكرامه بامتيازات اضافية إنما صون كرامته وتطمينه على مستقبله وسن قوانين لضمان حقوقه.

وإذا اعتبرنا ان الأستاذ في جامعتة يمثل سر نجاح عملية التعليم وعمودها الفقري فلا بد من ان تكون البداية في تأهيل غرفة مثالية يجلس فيها!! (غرفة التدريس The teaching room) بأن يتوفر فيها كل ما يريح الأستاذ من ماء وشاي وأكلات خفيفة وأنترنيت وكرسی مريح ومنضدة محترمة ، وهناك غرفة خاصة مغلقة بجانب غرفة الأساتذة يكلم الأستاذ فيها ولي أمر الطالب ولكي لا يطلع أحد على أسرار الطالب (هذا في فنلندا) وأنا على مدى 33 سنة في الجامعة لم أحصل على ميزة واحدة مثل ما تتوفر للأساتذة في دول العالم ، ولا غرابة في ذلك إذ أن راحة الأستاذ في غرفته تزيد من نشاطه التعليمي بنسبة 80% وأن هئية غرفة مناسبة للأستاذ تزيد في تراكمية المعرفة لدى الطلبة بنسبة 60 %، وان غرفة الأستاذ تزيد في نسبة نجاح العملية التعليمية بنسبة 40%، إذ أن مثل هذه الأمور يحسب لها ألف حساب في دول العالم الآخر كيف لا وان الذي في محور الاهتمام هو من بيني أجيال المستقبل.

وفيما يتعلق بمرتبات الاساتذة ففي أوروبا ولا سيما الدول الاسكندنافية منها يوضع في أعلى سلم الرواتب وفي طبقة عالية في المجتمع، وهي واحدة من أعلى ثلاثة مهن محترمة في هذه الدول، إذ يبلغ راتب المدرس في أول تعيينه بين 2000- 4000 يورو وحسب الدروس التي يعطيها وأي مرحلة يدرس ونوع المادة، ومن الصعب في فنلندا على سبيل المثال أن تصبح معلما أو مدرسا بشهادة البكالوريوس إذ لا تؤهلك لكي تكون مدرسا إلا بشهادة الماجستير .

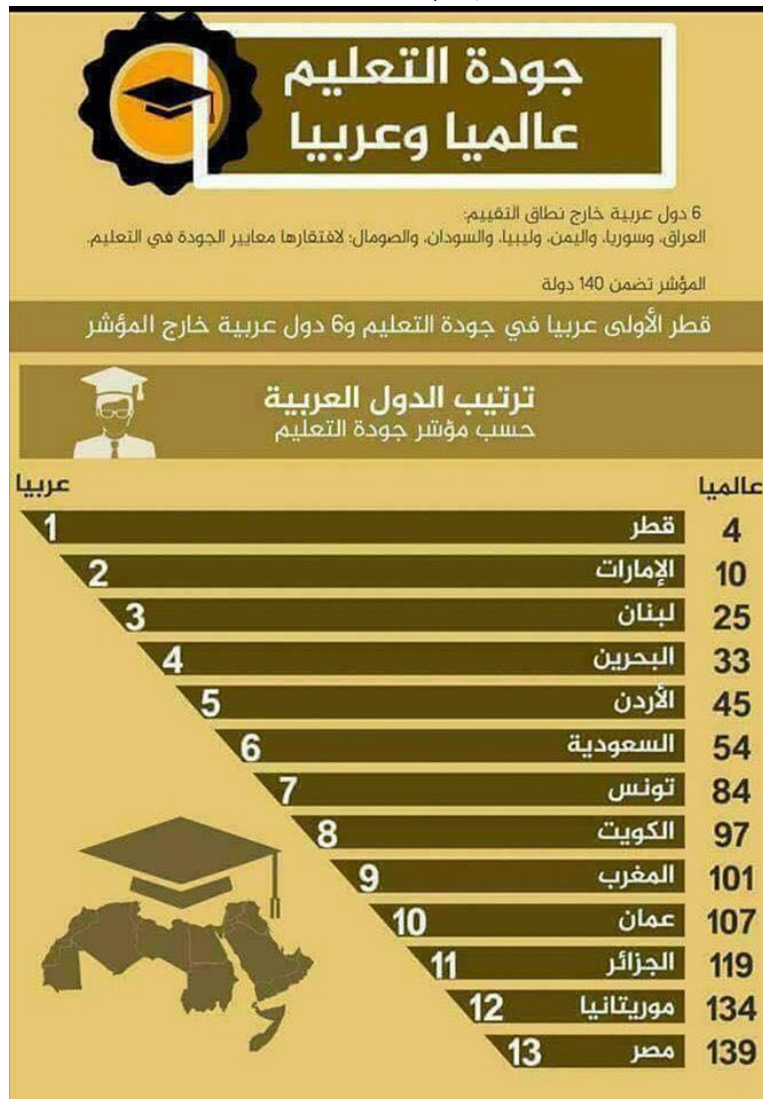
وخلال وجودنا في الهند شاهدنا حادثة جرت معنا حينما زرنا جامعة Karst الهندية في مدينة Bangalore سنة 2014 ونحن 10 اساتذة ذهينا لكي نستطلع الجامعة ووضع الاساذ عندهم حينما خرج لنا موظف التشریفات عندهم وبدون أي مقدمات قال لنا I don't let you in because the teachers are at rest لا أسمح لكم لان الاساتذة في وقت راحتهم، كدلالة على أهمية راحة الاساذ ،هذا الى جانب اهتمامات أخرى فمصعد الاساتذة خاص بهم لا يستخدمه طلاب أو موظفين، وغرفهم في مكان هادئ بعيد عن قاعات المحاضرات ، والمغاسل لا يزاحمهم عليها الطلاب ! ولابد من الاشارة الى ان الهند دولة نامية بل لديها من الموارد هو أدني مما لدينا لكن عندهم ثقافة التعليم عالية!!!

وكل ذلك انعكس بشكل مباشر على مستويات جودة التعليم عندنا انظر الشكل (1)، وكانت ستة دول عربية خارج التصنيف هي سوريا والعراق واليمن والصومال والسودان وليبيا.

ان تقييم مستوى أداء الجامعات في العالم يجري سنويا ويتم وضع لها تصنيف حسب الأولوية واعتمادا على معايير عالمية وضعت لهذا الغرض تخص مستوى الدارسين والاساتذة.

الشكل 1

جودة التعليم عربيا وعالميا لسنة 2020



وبالنسبة لمرحلة البكالوريوس يعتمد على جودة التعليم، فيما يعتمد على مستوى البحث العلمي بالنسبة للدراسات العليا (الشنواني، 1999، 79).

ومن جهتها نشرت جامعة "جاو تنغ" في شنغهاي تصنيفاً لأفضل 1000 جامعة في العالم في عام 2020، وخلا التصنيف من أية جامعة عراقية، وتصدرت "جامعة هارفارد الأميركية المرتبة الأولى ومن ثم ستانفورد الأميركية أيضاً المرتبة الثانية، ومن ثم كمبريدج البريطانية المرتبة الثالثة بينما معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الأميركي شغل المرتبة الرابعة، ومن ثم جاءت بالمرتبة الخامسة جامعة كاليفورنيا بيركلي الاميركية".

وقامت مؤسسة Quacquarelli Symonds البريطانية ويرمز لها QS لسنة 2020 وكان آخر تصنيف لها ، فهو يهتم بالمستوى العلمي للجامعات والكليات وتعزيز دورها في البحث العلمي، وكذلك تعزيز ثقة اصحاب العمل بالطلاب الخريجين ويتم اختيار أفضل 500 جامعة على مستوى العالم وفقا لعدة معايير، ومن أهم المعايير المعتمدة في هذا التصنيف هي (زويل، 1995، 112):

1- سمعة الجامعة الأكاديمية وهي تعني رأي الخبراء في مستوى الجامعات من شتى أنحاء العالم فيما يخص تلك الجامعة وذلك بنسبة 40%.

- 2- وكذلك سمعة الجامعة لدى أرباب العمل وهي تعني ثقة أصحاب العمل بالطلاب الخريجين من هذه الجامعة وذلك بنسبة 15%.
 - 3- مقارنة نسبة أعضاء هيئة التدريس إلى طلاب الجامعة وذلك بنسبة 15%.
 - 4- فيما يخص الاستشهاد العلمي بأبحاث صدرت عن تلك الجامعة وذلك بنسبة 20%.
 - 5- عدد أعضاء هيئة التدريس من الأجانب ونسبتهم في الجامعة وذلك بنسبة 5%.
 - 6- وعدد الطلاب الأجانب الدارسين في الجامعة وتأخذ نسبة 5%.
- وتصدر معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT المركز الأول في هذا التصنيف كأفضل الجامعات العالمية في عام 2020 وذلك للعام الثامن على التوالي وفقاً للتصنيف العالمي للجامعات QS ، والتي تم إصدارها من قبل محلوو التعليم العالي العالميين من شركة Quacquarelli Symonds التعليمية والذي عمل على تصنيف 1000 جامعة من خلال 82 موقعاً مختلفاً، وتم استطلاع 94000 أكاديمي و 44000 مدير توظيف، وتم تحليل 8.11 مليون ورقة بحث علمي، و 100 مليون شهادة علمية معتمدة، حيث تقاس أفضلية الجامعات على حسب الاستطاعة الأكاديمية، وإمكانية توظيف الطلاب الخريجين ونسبة الطلاب والموظفين وتأثير البحث العلمي وعددهم.
- وشغلت جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة الأمريكية بالمرتبة الثانية، فيما شغلت جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية بالمركز الثالث، أما المركز الرابع شغلته جامعة أكسفورد في المملكة المتحدة، الغريب في الأمر ان هذه الجامعات متصدرة التصنيف منذ عقود كدلالة على اصرار العاملين فيها من أساتذة وموظفين على المضي قدماً في التميز.
- يعتمد الأستاذ الجامعي في عمله على فكره فحسب، وهذا الفكر بحاجة إلى متطلبات محددة لكي يكون متفرغاً للعلم والبحث والتعليم، لكن مكانة الأستاذ الجامعي انعدمت حتى في أروقة الجامعة وداخل قاعة الدرس لعدم توفر غطاء اجتماعي واكاديمي يدعم مكانته، بل إن الأستاذ الجامعي أضحي يركض وراء المادة لكي يوفر عيش رغيد له ولأسرته في الوقت الذي يجب أن توفر له الإمكانيات المادية أصلاً لكي يتاح له مناخاً علمياً وجواً أكاديمياً لأداء عمله، وترتب على ذلك كله أن الذين ينخرطون في سلك التعليم يفكروا قبل كل شيء بتكوين كيان مادي له ليس لغرض المادة وجمع المال فحسب، وإنما لكي يسخرها في خدمة البحث والتقسي، وفي هذا سلب وسرقة لوقت الأستاذ لأغراض أخرى غير العلم والبحث والمتابعة، وانعكس ذلك على مستوى الأساتذة العلمي وأصبحوا غير قادرين على مسايرة التطورات التي تحدث في مجال تخصصاتهم على مستوى العالم.
- فضلاً عن القيود والمحددات والعراقيل التي تقف بوجه الأستاذ الجامعي سواء على مستوى العلم والمعرفة أم كان على المستوى الإداري وسلم الترقيات العلمية والمشاركات البحثية في المؤتمرات والندوات العلمية.

ثالثاً - تصنيف الباحثين

ان ما يطلق عليها اليوم بالدول المتطورة كانت تعيش في الحضيض وحياة بؤس وتردي لشعوبها، ولكن في يوم وليلة أسست لها طريق للرقى فأصبحت في عداد الدول المتقدمة وأضحى طريقها هذا يسمى بالتجربة Experience، مثل التجربة اليابانية والكورية في آسيا وحتى سنغافورة، أو التجربة الألمانية في أوروبا على سبيل المثال لا الحصر.

ولكن ضرورة طرح السؤال هو أن هؤلاء أسسوا لهم شيء جديد من بناء أفكارهم وصعدوا به الى الرقي فما بالك بدول العالم المتخلف التي وجدت لها تجارب جاهزة ولا تستطيع استنساخها أو تطبيقها بحذافيرها على دولهم للتخلص من التخلف الذي هم فيه!!

فماذا نصف الحالة الأولى للدول المتطورة وماذا نعطي وصف للدول المتخلفة؟

وبالإمكان تطبيق هذا المثال على حالات كثيرة ولطالما نحن في الجامعة فبالإمكان تطبيقه علينا، وعلى مستوى أساتذة الجامعات وباحثيها بالإمكان تصنيفهم الى ثلاثة اصناف وفق معايير عدة منها: البحوث المنشورة والكتب المؤلفة والمؤتمرات والندوات المشارك فيها والإشراف والتدريس ومشاركته في لجان ومناقشات الدراسات العليا، واعتماده كخبير علمي الجدول (1)

الصف الأول: يمكن أن نطلق عليه بالأوائل أو الصفوة Top

جدول 1

النشاطات العلمية لعينة من اساتذة الجامعات العراقي لسنة 2021.

ت	الفئات	العدد	%	معدل البحوث المنشورة	أقل أستاذ	أكثر أستاذ	معدل الكتب المؤلفة	المشاركات العلمية في المؤتمرات
1	النشطة	253	22	19	11	73	9	فاعل
2	متوسطة النشاط	575	50	12	8	14	2	متوسط
3	متدنية النشاط	322	28	3	0	3	0	0
	المجموع	1150	100.0					

المصدر: البحث الميداني إذ قام الباحث بالحصول على بيانات من قسم علمي واحد على مستوى 15 محافظة وبواقع 22 جامعة من حيث عدد البحوث والمشاركات العلمية في المؤتمرات وتدریس وإشراف ومناقشة طلبة الدراسات العليا والاولية وتألّف الكتب وكل ما يتعلق بنشاط الاستاذ في القسم لسنة 2021، ولقد أخفى الباحث أسم القسم والجامعات والاساتذة حفاظا على الخصوصية أو كشف الضعف لدى الاقسام لاعتبارات اخلاقية.

وأخذ الباحث بنظر الاعتبار عمر الباحثين العلمي ومقارنة ذلك بنتائجهم العلمية فضلا عن عدد البحوث النوعية والكمية لكي تكون المقارنات عادلة.

أسس هذا الصنف لنفسه طريقاً خاصاً وسار بموجبه ونجح ، أو انه استفاد من تجارب الآخرين وشق طريقه الى الغلا من حيث:

- 1- نوعية وكمية البحوث التي كتبها وأماكن نشرها والاستفادة منها سواء في الترقّيات العلمية أو في المؤتمرات العلمية أو الحلقات النقاشية أو الندوات العلمية ومدى مشاركتها كمصادر في البحوث والرسائل والاطاريح من قبل الآخرين.
- 2- الكتب التي قام بتأليفها ونوعها ومدى انتشارها والاستفادة منها ومدى مشاركتها كمصادر لدى الباحثين، وسواء كانت كتب منهجية أو مساعدة وسعة انتشارها ومكانة دور النشر التي قامت بنشرها وسمعتها.
- 3- مشاركته او حضوره في المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية seminar والورش العلمية أو استفادة منها وسواء كانت هذه المشاركات داخلية أم خارجية.
- 4- إشرافه على الطلبة أو مناقشته لهم سواء كانوا في مرحلة البكالوريوس أو الماجستير أو الدكتوراه.
- 5- تدريسه للمواد الدراسية في المرحلتين الأولى والعليا والاضافات التي اضافها الى الطلبة من حيث الإرشاد الى عناوين بحوثهم وحل مشكلاتهم البحثية والطروحات العلمية التي استفادة منها طلابه.
- 6- مشاركته في الورش والمناسبات الاجتماعية والعلمية التي ساهم فيها فضلا عن سمعته الاكاديمية والبحثية.
- 7- اعتماده كخبير علمي سواء اجازة الكتب والبحوث للنشر أو اطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير والترقّيات العلمية.
- 8- حصوله على كتب الشكر والشهادات التقديرية التي حصل عليها ومصادرها.

وعلى اساس ما ورد اعلاه وغيرها بالإمكان ان نحكم على وضعه كباحث أو استاذ ناجح أم لا ومن الصنف الأول على مستوى الباحثين أم لا!

الصنف الثاني: يقع هذا الصنف موقعاً وسطاً بين الصنف الأول والصنف الثالث ويمكن تقسيم اصحاب هذا الصنف الى قسمين: أما القسم الاول من باحثي هذا الصنف فهم ينتظرون الفرصة الملائمة للانطلاق نحو النجاح وهؤلاء ممن يحملون جزءاً كبيراً من صفات باحثي الصنف الأول ولكنهم لا زالوا على عتبة البحث العلمي بحكم حداثتهم على التعليم العالي وأمامهم الطريق طويل لكي يلحقوا بإقرانهم من الصنف الأول.

وقد مرت على الصنف الثاني مدة ليست بالقصيرة في أروقة الجامعة لكن الذي يهمهم بالدرجة الأولى تمشية أمورهم في التدريس دون تطوير أو متابعة أو رغبة كبيرة في هذا المجال ، ومن حيث كتابة البحوث فهذا القسم يهيمه الترقية العلمية فهو يكتب بحوث

لأغراض الترقية أو القَدَم من حيث المُرتب ، وحينما تُمنح له الفرصة يشارك في مؤتمر لا سيما إذا انعقد في مكان عمله ، أي أن هؤلاء ممن تبحث عنهم المؤتمرات والندوات ولا يبحثون عنها ، فنصف أجساد هؤلاء كسول ونصفه الآخر ينبض فيه النشاط لكنه ساكن ، هذا القسم من الاساتذة والباحثين بحاجة الى إرشاد ودعم من قبل اقسامهم وكلياتهم ومراكزهم البحثية وسواء كان هذا الارشاد عن طريق زملائهم أو عن طريق فرض عليهم المشاركة في النشاطات العلمية أو مطالبتهم في كتابة البحوث، وهناك تقصير واضح من جانب إدارة الاقسام والكليات والجامعات من حيث تحفيز هؤلاء.

الصنف الثالث : يطلق على هذا الصنف ب الكسالى Lazy ويمثلون المشكلة الكبرى The biggest problem بالنسبة للجامعات والاقسام العلمية، فهذا الصنف لا تهتمه كل الامور التي ذكرت في الصنفين الأول والثاني لا البحث ولا التقصي ولا التدريس ولا الغلا والرقي العلمي ولا الدراسات العليا ولا الاشراف ولا المشاركة في المؤتمرات لا بل أذهب أبعد من ذلك أن اصحاب هذا الصنف لا يجيد كتابة البحث العلمي ولا يجيد التدريس ولا يفكر بهما فهو أخذ لنفسه القناعة بالورقة التي حصل عليها (الشهادة) وأبقاها عارية كطير بلا ريش ، ويشكل هؤلاء عدد لا بأس به في الجامعات والمراكز البحثية ، وهنا بالإمكان أن نذكر مثالين واقعيين؛ الأول كان يعتقد في كليتنا مؤتمر سنوي ولكن تم الغاؤه لأسباب مجهولة من قبل أحد الوزراء الذي تسنموا وزارة التعليم العالي ، وفي سنة 2007 كنت عضواً في اللجنة التحضيرية للمؤتمر وطلبت في حينها من الاساتذة المشاركة في فعاليات المؤتمر ، قالت لي إحدى التدريسيات وبالحرف الواحد (هذا مو شغلي This is not my job) ومنذ ذلك الوقت حاولت مراراً وتكراراً أن أجد تفسيراً لهذا الموقف أو هذا الرفض أو بخل هذا اللغز ولم أفجح ! كيف بأستاذ جامعي حاصل على شهادة الدكتوراه وأستاذ في كلية تربية ينكر وظيفته الرئيسية ويتخلى عنها ويعد المؤتمر ليس من مهام عمله؟

طلب مني استاذاً جامعياً مَرَّ على خدمته في الكلية قرابة 30 سنة نعم 30 سنة لأنه بعد طلبه بخمسة سنوات أُحيل على التقاعد، طلب مني أن أصحح له عنوان بحث! فقممت بتصحيحه ثم طلب مني أعداد هيكلية لكتابة البحث! فوضعت له الهيكلية، ثم طلب مني في نفس الوقت وضع مشكلة للبحث! ففعلت، ولكن وأنا اكتب مشكلة البحث فكرت بأنه سيطلب مني أن أكتب له البحث ولكن حمداً لله لم يفعلها، وهناك أمثلة كثيرة في هذا المضمار، وهناك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها كلها ، والسبب يعود كما ذكرت سابقاً الى القسم العلمي والكلية والجامعة من حيث:

1- ضرورة أن يكلف الاستاذ الجامعي بكتابة بحث سنوي وهو ما معمول به اليوم سنة 2022 في الكليات أما قبل هذا التاريخ فلم يطلب من الاستاذ الجامعي كتابة أو نشر بحث سوى تسجيل بحث في القسم بداية كل سنة دون متابعة تذكر ودون المطالبة بالإنجاز والنشر .

2- إلزام اساتذة الجامعات والباحثين للاشتراك في المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية seminar ، علماً انه في جامعات مثل المملكة المغربية مثلاً فان الاستاذ الجامعي الذي لم يشارك في مؤتمر سنوي سواء كان داخل البلد أو خارجه يحال الى العمل الاداري.

3- كانت الجامعة تحاسب الأستاذ الذي تتأخر ترقيته دون أن يقدم بحوث ترقية إذ يرسل إليه رئيس الجامعة ويحاسبه على ذلك ويحثه على أن يقدم بحوثه الى لجنة الترقيات العلمية في القسم الذي ينتمي إليه، اما اليوم فلا محاسبة ولا مسائلة بحيث أن عدد كبير من التدريسيين أُحيلوا الى التقاعد وهم في مرتبة مدرس وبعد خدمة أكثر من 35 سنة كأستاذ جامعي! وهذه قمة المصائب، كيف مرت عليه كل هذه السنين من عمره وهو يعيش في وسط علمي ولم يحرك ساكناً؟ لو كل خمسة أيام يكتب 15 كلمة لكان قد كتب 10 بحوث على الأقل!

4- ضرورة ان لا يكلف هذا الصنف بالإشراف على طلبة التخرج للمرحلة الرابعة فكيف يستطيع التدريسي الذي ليست لديه بحوث أو الرغبة في كتابة البحوث أن يشرف على بحوث طلبة المرحلة الرابعة مثلاً؟! فما ذنب الطالب في ذلك؟ الى متى نبقي رهينة العواطف على حساب العلم والطلبة؟

5- إحالة اصحاب هذا الصنف الى أعمال إدارية أخرى غير التدريس والبحث لطالما ليس لديه إمكانية في مواصلة البحث العلمي في الاقسام العلمية، سيما وان وزارتنا اسمها من شقين التعليم العالي ومن ثم البحث العلمي.

ومما لا شك فيه ان الاستاذ الجامعي أو الباحث هو قائد في المجتمع سواء قبل ذلك أم رفض، فهو قائد لطالما يقود قادة المستقبل Future Leaders!!! أليس الطلبة الذين يتخرجون من كليتنا هم سيقودون طلاب المدارس؟ أوليس طلاب المدارس هم من سيصبح

طبيب ومهندس ومحامي وقاضي وضابط ووزير ويقود مصير البلد؟ إذن نحن الاساتذة والباحثين يجب أن نشعر باننا في مكانة عالية جداً وهذا ما أقرته وسارت عليه الدول الاخرى التي أعطت للمعلم مكانة القاضي وهيبة الضابط وراتب الوزير، أليس كذلك؟

مما ورد بالإمكان استخلاص ثلاثة فوائد نقولها للأصناف الثلاثة وكالاتي:

1- الاولى والتي تخص الصنف الأول من الاساتذة الاكفاء ونقول لهم أنكم حصدتم أجوركم في الدنيا وضمنتم أجركم في الآخرة، أما في الدنيا فانتم من وصفكم النبي ﷺ بـرثة الانبياء إذ أنه قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الانبياء، وإن الانبياء، لم يؤرثوا ديناراً، ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، هذا الحديث يبين فضل العلماء، توضيحاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة : 11) فهم الوارثون لما تركه الرسول، لأنه القائل ﷺ (بلغوا عني ولو آية) إذ جاءت الشريعة الإسلامية حاثّة على العلم، ومُرغبة في طلبه، وداعية إلى تحصيله، أما في الآخرة فقد وردت نصوص شرعية عدة لا سيما في القرآن الكريم تُعلّي من شأن العلم، وتبين منزلة العلماء وفضلهم على من سواهم، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الزمر الآية 9: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَغْلُمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَغْلُمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ولا يخفى ما للعلماء من دور جليل في خدمة الناس ونفعهم، والرقي بالمجتمع وتقدمه.

2- والثانية تتعلق بالأستاذ أو الباحث الذي ينتظر الفرصة للانطلاق، أو الذي تتأرجح أفكاره بين القناعة بما حصل عليه من شهادة وبين اللحاق بالآخرين الذي سبقوه بالتكوين العلمي لأنفسهم وتبوءوا المجد والمكانة العلمية المرموقة، نقول له أنطلق بسرعة قبل فوات الأوان وبدون تردد أو سابق تفكير ونعني هنا بفوات الأوان حالتين الأولى: تقدم العمر يصبح من الصعوبة بمكان مواصلة المسيرة بسهولة ويسر، فالسنين تسير والزمن لم ولن يتوقف بانتظار أحد، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: " اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك "

أما الحالة الثانية وهنا لابد من الإشارة المهمة والدقيقة وهي أن الشارع العلمي في الجامعات العراقية وحتى العالمية تقيّم للأستاذ من أول يوم تعيينه في الجامعة من خلال رصد نشاطاته وتقييمه من خلالها، فإن كان نشطاً تم تقييمه نشطاً وإن كُسل فيما بعد! وإن تم تقييمه كسولاً يبقى كذلك وإن نشط فيما بعد! أنها فعلاً مفارقة لكنها مفيدة، لذا اقتضت ضرورة التذكير بهذه النقطة. ولابد من ان نعترف ان مقود الحضارة المعاصرة اليوم بيد غيرنا نحن العرب وهم يديرونه إلى حيث شاءوا، وأمتنا اليوم حينما أضحت ترزح تحت وطأة الهزيمة والانبهار بما عليه الغرب من تقدم وتطور حياتي؛ راحت تحاكي أولئك القوم في أساليب حياتهم وأفانين عيشهم، إلا في العلم والمعرفة فالعرب اليوم اخذوا كل شيء من الغرب الا النافع فلم يقتربوا منه للأسف ولو كنا نقلدهم في كل شيء لكننا اليوم أمة يشار إليها وليست أمة ضائعة بين الأمم أو كما قال الشاعر الكبير ابو الطيب المتنبّي:

أغاية الدين أن تحقّقوا شواريكم... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

واضيفت هذه الامم ميزة اخرى مقارنة بنا وهي ان لا "تضحك من جهلنا" فحسب، بل بات في وسعها أن تهقه وبصوت عال مستفز من سذاجتنا عندما يتعلق الأمر بالأوضاع الاقتصادية التي دمرها -بدلاً من أن يصلحها كما هو منطقي- اكتشاف النفط وبكميات غزيرة وافرة في المنطقة العربية، فلم يعد في وسعنا تحديد كميات النفط المستخرج، وشحناته المصدرة للخارج، وأسعار بيعه، بما يتفق ومصالحنا الوطنية أو القومية، ولا ما يلبي احتياجات ما نزع منها "خططنا التنموية"؛ فجميعها باتت مرهونة عند ذاك الأجنبي الذي يتحكم فيها: كماً، وتصديراً وسعراً، بما يتوافق وخططه هو وبرامجه الوطنية.

وبخصوص اقتصاداتنا فأنا دخلنا الأسواق العالمية من جاداتها الاستهلاكية؛ فتحولنا إلى أسرى لرواد تلك الأسواق وتجارها، وقبلنا لأنفسنا من أن نتحول الى ببادق بيد اللاعبين الكبار، وأخيراً تم بيع مبادئنا وقيمنا لهم بدون ثمن، بعد أن وضعنا يدنا بيد المحتلين ناسين ومتناسين الآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية 120 ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿

وعلى اساس ذلك علينا نحن معاشر الباحثين والعلماء أن لا نتوانى في الإسراع لنجدة الأمة من كبوتها سيما وأن المعركة الحضارية ليست بحاجة الى مدافع وطائرات إنما بسلاح القلم الفعال الذي يؤدي دوراً أكبر من أي سلاح وقد اطلق الله سبحانه وتعالى أحد سور القرآن باسمه وأقسم به بقوله في سورة القلم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ومما لا شك فيه أن كل عربي يفخر بانتمائه لهذه الأمة يشعر بالألم والأسى لهذا الحال ويفكر ويتفكر بالسبيل الأمثل للإصلاح والنهوض الذي يعيد الأمة إلى مكانها السليم في مقدمة الأمم من خلال:

1- لا يمكن للنهوض الحضاري ان يتم دون ارتقاء فكري لدى شريحة واسعة من أفراد المجتمع بتقديمهم علماءها وباحثيها ومفكرها يؤدي بدوره إلى تغيير اجتماعي عميق ينجم عنه تطور وصعود في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية. فان النهضة الأوروبية بدأت مع تبني فلاسفة الغرب لفلسفة أبن رشد وأبن حزم وصوفية أبن عربي وأفكار أبن سينا والرازي في البحث العلمي وغيرهم من علماء المسلمين في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادية، ثم استغرق انتشار هذه الأفكار والفلسفات الجديدة التي حملت رياح التجديد في أوروبا حوالي ٢٠٠ عام كي تؤدي ثمارها على هيئة تغييرات اجتماعية بنوية عميقة في المجتمع الأوروبي، كي يبدأ بعدها عهد التنوير والذي يعد بداية عصر النهضة في أوروبا.

2- ان العمل على نهوض الأمة وإحيائها لتستعيد دورها هو مسؤولية فردية أمام الله، فكما ورد في الحديث الشريف سيقف كل منا بين يدي الله ويسأل عن وقته مرتين: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، فالاعتذار بالظروف وبالعجز وقلة الحيلة هو أمر مقبول لبعض الوقت ولكنه عذر مرفوض عندما يرافقنا العمر كله.

ثم أن التغيير الاجتماعي الذي يبدأ من قاعدة الهرم وينتشر أفقياً أولاً، هو الأقدر على البقاء والأبعد أثراً في تاريخ الأمم ولو تأخرت نتائجه وكثرت صعابه، وانتشاره بعد ذلك عمودياً نحو القمة سيكون نتيجة طبيعية يعوزها الوقت وإن طال بعض الشيء.

3- وان لم يكن العمل من أجل النهوض واجبا دينيا فهو اليوم ضرورة اجتماعية واقتصادية وسياسية وذلك من منطق المصالح المادية البحتة، كي نوفر لنا ولأبنائنا من بعدنا مستقبلاً أفضل من الذي ورثناه، ونبني لهم مجتمعا يتيح لهم فرص العيش الكريم والحياة العزيزة فلا يتسولون الدراسة والعلم والعمل والحرية وأجواء العيش الكريم خارج أوطانهم، فإن نهوض الأمة العربية لا يخص مسلميها فقط وإنما هو واجب كل من سكن هذه البلاد وعدّها وطناً له.

الفائدة الثالثة: أما بالنسبة للفئة التي لا يعنيتها أمر النشاطات العلمية بأنواعها لا من قريب ولا من بعيد نذكرهم بالآتي:

1- انت بنفسك اخترت حياتك وهي الحياة العلمية والبحثية في الجامعة فلماذا تقسدها بيدك؟ وبالمناسبة انها أرقى اختيار The finest selection على مستوى العالم بدليل أن أحد أساتذة الجامعة الامريكان حينما رُشح ليكون وزيراً: (رفضها معتبراً ذلك من باب العقوبة)!

2- قهي حياة واحدة وتعيش فيها منزويا Retired؟ نعم الشخص الذي يعيش في وسط يجب أن يكون جزءاً منه متفاعلاً معه فان تخلف عن الآخرين ماذا نسليه؟ ثم ماذا يقول عن نفسه وهو يرى بعينه فعالية ونشاط الآخرين وهو مشلول علمياً بإرادته!!!

3- إذ ان المعيار الوحيد الذي يُقيم فيه الاستاذ في كل جامعات العالم هو معيار اللقب العلمي The scientific title، وهذا اللقب لا يأتي إلا من خلال باب واحد فقط هو كتابة البحوث، وكتابة البحوث تبدو للوهلة الأولى أن فيها صعوبة ما، لكن الحقيقة هذه الصعوبة تذوب مع الوقت من خلال الممارسة والتدريب والتفاعل مع البحوث والكتب والباحثين.

4- كانت لي مفاجأة كبيرة عندما علمت أن أول نسخة مطبوعة للقرآن الكريم باستخدام المطابع الحديثة لم تكن في عالمنا الإسلامي وإنما في هامبورغ عام ١٦٤٩ ويعود السبب في ذلك الى أن "رجال الدين المسلمين" قادوا حملة احتجاجات لإغلاق وتدمير أول مطبعة عثمانية حديثة في عام ١٧٤٥ وقاموا قبل ذلك بتدمير أول مرصد للأبحاث الفلكية في اسطنبول عام ١٥٨٠، والحقيقة أن هذه الأخبار ليست إلا غيضاً من فيض للفهم الخاطئ للإسلام من قبل جهالها من خلال حصر العلم بالأمور الشرعية ومحاربة علوم الدنيا والزهد فيها فهي مخالفة صريحة للأحاديث الشريفة التي حضت على إعمار الدنيا والسعي للتفوق والتميز في كل مجالاتها، فالعمل بالعلم وعن علم هو من صميم ديننا وعبادة يثاب الإنسان عليها والشواهد من ديننا تكاد لا تُحصى من كثرتها، أذكر منها على سبيل المثال ما ورد في البخاري في كتاب الجهاد أن النبي في المدينة أمر بإجراء "إحصاء" للمسلمين كي يستطيع التخطيط على بيئة وعلم، والحقيقة أننا اليوم نعيش نتيجة هذا الجمود والجحود وهذا الفهم المنحرف للإسلام الذي ساد عالمنا الإسلامي لقرون خلت، فمن لا

يملك الدنيا لا يملك إقامة دينه ولا يملك حتى أسباب الحياة الكريمة، ومن لا يملك خطة يكون جزءاً من مخططات الآخرين، قال تعالى في سورة الانبياء ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (105) والمقصود بالصالحين هنا حسب قول المفسرون هو إصلاح الارض وليس العبادة كما يظن الكثيرون، والحق أن الحضارة لا قيام لها إلا بالعلم، والتميز الإيجابي الذي يطالبنا به الإسلام لا يكون في شكل الملابس ولونه وإنما بالتفوق بالعلم والعمل، وقد ورد في الحديث "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" والتفوق في مجال ما هو دليل الإخلاص في العمل وهذا هو غاية الإتيان.

5- ولعل من خيبة الامل حقا أن ترى المسلم يزهد في بضائع بلاده ويسعى للحصول على ما صنع في الغرب ويدفع الأضعاف للحصول على بضاعة ألمانية أو يابانية وذلك ليس إلا لعدم توفر منتج محلي ذي جودة مقبولة، ومن المؤسف أكثر أنك حين تدعو لمقاطعة المنتج الغربي لا تكاد تجد له بديلاً محلياً، ومن المؤسف أن ترى الطالب العربي يستغرق عمره في الدراسة الجامعية ويمضي بها أضعاف الوقت المقرر ليتخرج بدرجة مقبول وذلك بحجة أن لا مستقبل لإصحاب الشهادات، ومن المؤسف أن تجتمع في الغرب بطالِبِ جاؤوا أو ابتعثوا من البلاد العربية للدراسة فتراهم أكثر خمولا من أقرانهم وأكسلهم وما همهم إلا الحصول على الشهادة وإن كانت ورقة من غير مضمون! ومن المؤسف أن ترى موظف حكومي أو غير حكومي عليه مظاهر الالتزام بالإسلام من دون أن ترى ذلك في سلوكه وفي عمله، علينا أن ندرك أن المسلم إنسان مخلص لعمله ومتفوق به وأنه إنسان إيجابي يتحلى بروح المبادرة ولا يركن إلى السلبية التي لا تجتمع مع التفوق!! والحقيقة التي أود أن أشير إليها هنا هي أننا كلنا نملك العمل في هذا المضمار، فالطالب عليه أن يجد في دراسته لأن تفوقه فيها عبادة وخدمة لدين الله وعلى المهندس والطبيب والموظف وعلى كل مسلم أن يبدع ويتميز في عمله لأن في تفوقه تحقيق تفوق واستقلالية للإسلام ودفع مباشر لعجلة النهضة والتنمية في بلادنا، حتى لو لم يكن الفرد قادراً على رؤية هذا المعنى بشكل مباشر وعلى الفور، ولكن النتائج تتبلور في هذا المجال بشكل تراكمي، فكل منا مطلوب منه أن يخلص لعمله وأن يتفوق في مجاله، ومن المؤكد ان هذا الكلام يقوله الاستاذ الجامعي لطلابه في قاعة الدرس فكيف إذن يرشد الناس وهو غافل عن نفسه كقيادي مجتمعي!

المصادر والمراجع:

سورة الاسراء، الآية (70).

الأسعد، عمر، الجامعات العربية حتى عام 2000، الواقع والتصورات المستقبلية، عمان، مجلة اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة.

أبو سليمان، عبد الوهاب، كتابة البحث العلمي، جدة، دار الشرق، 1987.

زويل، أحمد، عصر العلم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، 1995.

الشاوي، منذر، كتابات جامعية، بغداد، دار الحكمة، 1996.

الشنواني، صلاح. إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، مدخل الأهداف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1999.

ربيع، محمد صالح، استراحة الازهان في غرائب علم المكان، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2015.

محمود، خالد وليد، ضبط نشوة النصر، مجلة العرب القطرية، الجمعة 14 آب 2020.